الشّـيخ الطّاهـر الجـزائري
وجهوده في تفسير القرآن الكريم وبيانه

بقلم

د/ علي خضرة (*)

ملخص

إن ممن اهتموا بكتاب الله تعالى دراسة وتفسيرا من العلماء الأجلاء ، من علماء الجزائر الذين نذروا أعمارهم في خدمة كتاب الله تعالى :الشيخ الطاهر الجزائري نموذج المعلم المربي والداعية المصلح بهدي آي الذكر الحكيم ، ذلك الرائد الكبير للنهضة الشاملة في بلاد الشام ، هذا الرمز العلمي في بلاد الهجرة ، الذي من حق أبناء أمته أن يتعرفوا على جهد هذا المفسر والمصلح والمهاجر إلى ربه ، ويدرسوا أثره ومآثره الزاخرة الذي عد بحق خزانة علم متنقلة بما برع في أكثر من فن وحاز السبق في أكثر من مجال علمي .

تندمج هذه المحاولة : الشيخ طاهر الجزائري وجهوده في تفسير القرآن الكريم وبيانه ،ضمن هذا الإطار محاولين من خلالها أن نسلط الضوء على علم من علماء بلدنا العزيز الذين أثمرت جهود عطائهم في بلاد الشام الحبيب ،بل تجاوزته إلى أرض الكنانة ، بغية التعريف به وبتفسيره وجهوده في التعريب ،وخدمة اللغة والبيان وغيره مما برع فيه الشيخ وأجاد .

كما أرجو من الطلبة والباحثين أن يهتموا أكثر بمثل هؤلاء الفحول العلمية النادرة

(*)أستاذ محاضر قسم ب. قسم أصول الدين – معهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
(ali.khedourah@gmail.com)

التي تحدت ظروف عصرها وأنتجت في تربة غير أصلها ، لتقيم الحجة على الأجيال من بعدها .

الكلمات المفتاحية: الشيخ الطاهر الجزائري، الجهود، التفسير ، البيان.

مدخل :

إن الاهتمام البالغ الذي حضي به كتاب الله تعالى قراءة وإقراء قديما وحديثا من كل أبناء الامة الاسلامية التي أنار الله بذلك قلوب بنيها وناشئتها ،لما ندبوا فيه أعمارهم وقضوا فيه جل أوقاتهم ليملي على من جاء بعدهم من طلبة العلم الشرعي ولاسيما الباحثين فيه ، وبوجه أخص خدمة القرآن الكريم من حفظة ومدرسين ومجيزين ومقرئين وغيرهم .

هذا الجهد المشرف الذي قدمه أبناء بلدنا المفدى : الجزائر على مر تاريخه منذ بدأ التأليف في علوم القرآن ، كان محل التقدير ومشد الأنظار لما اشتهر به هؤلاء المهرة من العلماء الأجلاء والباحثين الحذاق في خدمة كتاب الله تعالى في سائر العلوم الخادمة لهذا الفن الذي يعد أشرف العلوم لتعلقه واتصاله بكتاب الله العزيز العليم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

لقد أبدع العلماء المغاربة منذ القرنين الخامس والسادس الهجريين في التأليف في علوم التفسير والفقه والقراءات والرسم القرآني والمتون والمنظومات وعد الآي وضبط المصاحف القرآنية وخاصة الرسم العثماني وقراءة الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني على وجه الخصوص ،بالإضافة إلى العديد من الشروح والمختصرات والتفريعات التي تناقلها السادة العلماء المغاربة جيلا عن جيل والتي شكلت في مجملها تراثا ضخما ساهم في إثراء المكتبة الاسلامية وإفادة روادها ومعمريها من الباحثين وطلبة العلم ، بل حتى بعض النقاد والمستشرقين ممن أم كثير منهم المكتبات الكبرى بغية البحث والتنقيب العلمي حتى وإن تعددت المقاصد والنوايا .

خدمة السادة المغاربة عموما والجزائريين خصوصا وجهودهم في تفسير الكتاب الحكيم وتوضيح مراده للسالكين طريق فهمه وسبيل معرفه مقاصده ، شكلت مرجعا هاما للدارسين في فنون البحث المتنوعة والمتخصصة في علوم القرآن وتبيان أهم مسائله ،كما جعلت من الحواضر العلمية والزوايا والمدارس القرآنية قبلة للباحثين ومقصدا للدارسين يؤمها الطلاب من فجاج الدنيا وأمصارها .

هذه الاشعاع العلمي في الحواضر العلمية الجزائرية كحاضنة بجاية مثلا والتي كانت معقلا ومقصدا لدراسة الشاطبية رحل إليها العلماء وتزاحمت عليها الركبان ،كما انتشرت العديد من المنارات العلمية الأخرى كمدارس الزواوة وتلمسان ووهران و غليزان و بجاية و تيارت و ورقلة وملیانة وغيرها (1)

هذه الحواضر العلمية المتعددة في سائر اقطار الوطن المترامي الأطراف والتي شيدها الزيانيون والمرينيون ومن جاء قبلهم وبعدهم والتي يصدق عليها وصف يحي ابن خلدون (عليه رحمة الله) بأنها " معاهد كريمة " (2) بما أنتجت من فحول العلم ومشايخ الزوايا وقراء تركوا آثارا طيبة في ربوع الوطن وذكرا حميدا تناقله الأحفاد وتوارثوه .

كما لا يخفى على كل دارس للتاريخ الاسلامي في ديار المغرب الاسلامي برمته ،أن هذه المحاضن العلمية العامرة أنتجت أجيالا علمية تواتر عطاؤها وتواصل مد الجسور العلمية في ما بينها ، ومن العلماء الربانيين والأجلاء الفضلاء الذين نذروا أعمارهم في خدمة كتاب الله ونشر بيانه وتبسيط معانيه لأبناء أمة القرآن (نحسبهم كذلك ولا نزكيهم على الله) ذلك العالم الفذ والرجل القرآني المصلح شيخ المجددين ، وداعية الاصلاح في بلاد الشام ،العلامة الجزائري المستوعب لفنون عصره ،الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد ابن موهوب السمعوني ، الوغليسي ، الذي هيأه القدر أن يظهر في ظروف غير ظروف بلده الأصل ولكنه برع بما أوتي من علم شرعي منطلقا

من صغار العلم ومبادئه فبل كباره ،متعلما ومعلما ووصولا إلى علم الخلاف بين الأئمة ليكون من أكابر مدرسي العلوم الشرعية والفقهية في بلاد الشام وفي المدرسة الظاهرية بالذات ثم الخالدية بأرض فلسطين وغيرهما .

هذا المصلح السني والمجاهد الرباني ، رجل القدر والملهم الموهوب والملقب بالجزائري الوغليسي ، السمعوني (رحمه الله تعالى عليه) الذي نذر نفسه وعمره وحياته دفاعا عن القرآن وأهله وسطرت أنامله وبنات أفكاره مجموعة من النظرات الثاقبة في علاج أمراض الأمة وكيفية تطبيبها ، ومن أهمها في زمانه أزمة التعريب ،التي هددت فيها أهم ركائز الأمة وأوثق عراها لغة الضاد ،لغة القرآن الكريم .

وانطلاقا من الجهود العلمية للمصلح الجزائري السمعوني الوغليسي المبذولة في خدمة كتاب الله تعالى ونشر معانيه القرآنية السامية موضوع البحث واستلهاما من الآثار المطبوعة والمخطوطة المستمدة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ،كان من البديهي أن نتعرف على الحياة الشخصية والعلمية لهذا الرمز العلمي في بلاد الشام من جهة ، وعلى الجهود العلمية في التأليف والدرس التفسيري والهدي البياني من جهة أخرى

من هذا المنطلق جاءت هذه المحاولة لتسلط الضوء على علم عربي جزائري ، بزغ نجمه في بقاع الشام والقدس ومن بعدها أرض الكنانة ، محاولين في بسطتنا هذه أن نجلي ولو بشكل غير مفصل شيئا من الغموض عن الجوانب العلمية النفيسة لهذه المكتبة العلمية الشرعية السيارة التي ضمت بين طياتها شخصية المفسر والمحدث والأصولي ،بل والفقيه الفيلسوف والمربي الذي دأب على خطى أولي العزائم من المؤمنين على مر التاريخ في العلم ونشره ، ومن سار على هديهم من أصحاب الأهداف الكبيرة لأجل الصالح العام ودفع المنكر بالمعروف عن علم وبصيرة .

وإن علمنا الذي نحن بصدد البحث في تراثه العلمي والعملي ،الفكري والبدني لمن الصفوة القلائل في الزمن المعاصر الذين جاهدوا بل جادوا بكل ما ملكهم الباري (جل في علاه) خدمة لدينهم وأمتهم ورسالتهم ، وأكرم بها من وظيفة سخرتها العناية الربانية لهم ، وحبتهم منة الباري (جل في علاه) ليكونوا أمناء رسالة الاسلام ومبلغيها في زمانهم .

فمن هو الشيخ طاهر الجزائري ؟ وما هو مساره العلمي ؟ وما أهم آثاره العلمية ومواقفه الشاهدة على جهوده في خدمة القرآن الكريم ولغته الجميلة ؟ وما الجانب المهم الذي فرض نفسه في حياة الشيخ العلمية وممارسته الدعوية المتعلق بخدمة كتاب الله تعالى ؟ كما أنه من الأمية بمكان أن نستطلع أهم الآثار العلمية له وأهم الشهادات من أهم أقرانه ومعاصريه .

1) الحياة الشخصية والعلمية للشيخ طاهر الجزائري

أولا- نسبه : هو الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الوغليسي الجزائري ،ثم الدمشقي (1268 - 1338 هـ = 1852 - 1920 م) بحاثة من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره. (3) والده صالح بن أحمد الوغليسي ،وقد كان عالما من كبار العلماء .

قال عنه الزركلي في الأعلام بأنه : فاضل من الجزائر قدم إلى دمشق ، ومن آثاره رسالة في غرائب الخلاف بين الأئمة .(4)

ينتهي نسب الشيخ طاهر إلى السيد عبد الله الكامل بن السيد الحسين المثنى بن السيد الحسن السبط بن الإمام علي (رضي الله عنه) تنحدر أسرة الشيخ طاهر الجزائري من صلب إدريس بن عبد الله الكامل وقد هاجرت إلى بلاد الشام سنة 1285 هـ / 1846 م ،وقد لقب بالسمعوني نسبة إلى بني سمعون وهي القرى التي كانت تسكنها عائلة الشيخ طاهر الجزائري ،وتقع بضواحي مدينة بجاية (5)

كما لقب بالدمشقي لمولده بدمشق وكبره فيها وانتمائه طيلة حياته إليها ، مع سفره لأرض الكنانة وملاقاة فطاحلة أهل العلم فيها حينها كالشيخ الخضري ومحمد عبده وغيرهم .

ثانيا- **مولده ونشأته :** ولد الشيخ طاهر الجزائري ليلة الاربعاء 20 ربيع الأول سنة 1268 هجري الموافق لـ.1851 م بمدينة دمشق ، وبها تعلم على أيدي كبار العلماء في ذلك الزمان ، يأتي في مقدمتهم والده الشيخ صالح السمعوني الذي بذل في تربيته وتعليمه جهدا كبيرا ، ثم التحق بالمدرسة الجقمقية (6) الابتدائية وفيها تتلمذ على يد علماء مثل الشيخ عبد الرحمان البستاني الذي أخذ عنه العربية والفارسية والتركية ، ثم اتصل بالشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني وهو فقيه أصولي نظار ، قال عنه المؤرخ محمد كرد علي بأنه كان : " على جانب عظيم من التقوى والورع ، يمثل صورة من السلف الصالح ، فطبع الشيخ طاهر يطبعه ، وأنشأه على الأصول العلمية الدينية ،وكانت دروسه صافية المشارب ، يرمي فيها إلى الرجوع بالشريعة إلى أصولها والأخذ من آدابها بلبابها ، ومحاربة الخرافات وإنقاذ الدين من المبتدعين و الوضاعين"(7)

وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ طاهر يتردد على الشيخ الميداني ويتعمق في دراسة علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية من فقهٍ وأصول وتفسيرٍ وحديثٍ وعقيدة ، ونحو وصرفٍ وبلاغةٍ كان يتردد على مدرسة حكومية ثانوية يتعرف فيها على العلوم الطبيعية والتاريخ ، والجغرافية ، والآثار ، وقد تعلم شيئاً من الرياضيات والفيزياء على أيدي خريجي المدرسة الحربية في دمشق ، وعكف على دراسة اللغات الشرقية فأتقن منها (فضلاً عن التركية والفارسية التي كان ينظم بها كالعربية) اللغات السريانية ، والعبرية والحبشية والقبائلية البربرية (لغة أهله الأصلية) ، واعتنى عناية

خاصة بعلاقة اللغة العربية باللغات السامية ، وتعلم فوق ذلك اللغة الفرنسية وتكلم بها ، ولا شك أن معرفته باللغة الفرنسية أعانته على الاتصال بالثقافة الغربية .(8)

ثالثا– شخصيته : اتسمت شخصية الشيخ طاهر الجزائري بسمات الشخصية القوية من : حدة ذكاء ، وغزارة علم ورفاهة حس، وعلو همة ، وقوامة بدن ، ولا غرابة أن يكتب عنه من ترجموا له عن مواصفاته الخلقية بأنه كان حسن الطلعة ، واسع الجبهة ، معتدل القامة ، أسود الشعر والعينين ن سريع الحركة ،عصبي المزاج ، عاش ومات دون أن يتزوج، وقد اعتبر مترجموه عدم ارتباطه بالأسرة هو الذي جعله يعطي عمره كله للعلم ، الأمر الذي تفرغ له كليا .(9)

أما أهم جوانب شخصيته الأخلاقية فقد عرف بعفة النفس وحب العلم والزهد الذي تجلى في عدم مصاحبة الأغنياء وعدم الاهتمام بالشهرة ، كما كان (رحمه الله) حريصا على اغتنام أوقاته والانتفاع بها ون مظاهر حرصه على طلب العلم ونشره أنه كان يحمل بعض الكتب الصغيرة معه ليقرأ فيها حيث يتيسر له الوقت كي لا يضيع شيء من وقته ، يقول عنه أحد تلامذته : " كان لا يذر مزاولة العلم في كل وقت وحين ما بين تصنيف وتنقيح ،أو بحث وتنقيب ، أو مذاكرة ومطالعة ، وإذا استحسن كتابا يعاود مطالعته مرارا عديدة " (10)

رابعا– آراؤه : لقد كان لمواصفاته شخصيته السابقة مع علمه الثر الأثر الكبير في مواقفه وآرائه والتي لخصت لنا تجربة الشيخ طاهر في ميادين الحياة كلها ، فمثلا عن سر النجاح والإخفاق في الحياة ، يقول :" إذا اردتم النجاح فلا تلقوا بأذانكم لم يقال فيكم من مدح وقدح ، وسيروا على الهدف بخطى ثابتة تفلحوا ، واتقوا إضاعة الوقت بالقيل والقال " وبخصوص شروط النجاح في الحياة يرى أن من أهمها مطابقة السر للعلانية ،إذ يقول :"إياكم أن تخطوا في رسائلكم إلى إخوانكم ما لا تريدون أن تقولوه جهرة ،فكل ما يكتب لا يؤمن نشره ، يفتضح به صاحبه فيؤذيه ولا ينفعه " (11)

وعن أهمية العلم وحاجة الانسان إليه ،يقول :" تعلموا ما تيسر لكم تعلمه ولو لغة مالطة ، فقد يجئ زمن تحتاجون إليها ،وإياكم أن تقولوا إنها لا تدخل في اختصاصنا ، فالعلم كله نافع والمرء يتعلم ما حسنت به الحياة ....ثم يقول : تعلموا العلم لله ولفائدة العلم ولذته ، وليكن لكل واحد منكم صناعة أو تجارة ، أو زراعة تعيشون منها أحرارا حتى لا تحتاجوا إلى قرع أبواب الملوك والحكومات ، فإذا احتاجوكم نادوكم ، وإلا فانتم بما لكم من أسباب المعايش لا تحتاجونهم " (12)

خامسا- مؤلفاته : لقد اعتبر الشيخ طاهر الجزائري موسوعة علمية مستقلة لما تركه من انتاج علمي غزير في فنون عديدة ، ولعل ما يهمنا في موضوع دراستنا هو ما تعلق من مصنفاته بخدمة كتاب الله تعالى تفسيرا وبيانا ومن أهم هذه المصنفات ،(13) :

- تدريب اللسان عن تجويد البيان ،بيروت 1325 ه
- توجيه النظر إلى أصول علم النظر ، رسالة في علم الحديث، مصر ، مطبعة الجمالية، 1320 ه
- الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية ، دمشق ، 1313 ه
- فهرست رسالة (الحدود في الأصول) لأبي الوليد الباجي
- رسالة في الإفتاء وشروط المفتي.
- مسائل علمية وحكاية الانتصار لابن تيمية
- عقود اللآلي في الأسانيد العوالي
- شرح خطبة الكافي (بحث في أصول اللغة ونشاتها واشتقاقها) وهو معجم للشيخ لم يكمل
- منية الأذكياء في قصص الانبياء (ترجمة عن التركية)، دمشق ، 1299 ه
- شرح ديوان خطب ابن نباته وكتاب الفوز الأصغر لابن مسكويه

- شرح روضة العقلاء ونزهة الفضلاء
- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد لابن الأنصاري
- أمنية الألمعي ومنية المدعي ، لابن الزبير الأسواني
- دفتر فيه ترجمة معروف الكرخي ، والسري السقطي
- مقتطفات من كتاب (سلوة العارفين وآنس المشتاقين) لأبي بن خلف محمد بن عبد الملك الطبري
- التذكرة الظاهرية ،المعجم العربي
- السيرة النبوية
- جلاء الطبع في معرفة مقاصد الشرع
- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن
- مختصر في قواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ، لأبي العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق

هذه وغيرها من المصنفات الأخرى في فنون عدة تدل على سعة نظر الشيخ ورحابة فكره العلمي ،وخصوصا في فنون الشريعة وعلوم اللغة ومباحث التزكية ومحطات التاريخ الاسلامي عامة .

2) جهوده في تفسير القرآن الكريم ونشر بيانه

لقد اعتنى الشيخ طاهر الجزائري بخدمة كتاب الله تعالى وتوضيح بيانه لطلابه ولجملة المهتمين بفهم مراد الله تعالى ، وقدم للأمة جهدا لا ينكره إلا الجاحدون لتبيين معاني آيات الكتاب العزيز ، هذا العمل هو ما سماه (تفسير القرآن الحكيم) ، وهو عبارة عن حاشية على تفسير الإمام البيضاوي ،حيث

يبدأ المؤلف (رحمه الله تعالى) بإدراج صفحات مطبوعة من تفسير البيضاوي يعلق على هوامشها بخط يده ثم يبدأ في تفسير الآيات التي تناولها البيضاوي ويطيل في

تفسيرها ويكثر من النقولات ، وأحياناً يدرج صفحات من كتب كما هي ، كما ينقل كلام شيخ الإسلام وكلام غيره وهو تفسير من أربعة مجلدات بخط المؤلف منه نسخة محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق .

وقد ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غدة أن كتاب (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) قد وضعه الشيخ طاهر كمقدمة لهذا التفسير ، إذ كتب له مقدمتان : كبرى وصغرى ، والصغرى هي كتاب التبيان.((التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن))

يقول صاحب كتاب :الشيخ طاهر الجزائري ، رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث عن تفسير الشيخ طاهر الجزائري ،بأنه :" عبارة عن حواش على (تفسير البيضاوي) في أربعة مجلدات وقد عمد المرحوم إلى نسخة مطبوعة من البيضاوي فكتب على أطرافها هوامش وتعليقات ، وأكثر ما كان يكتب هذه الهوامش والتعليقات في كراريس وقراطيس يدسُها بين الصفحات المطبوعة ، وقد أثبتت في مكانها خيوط متينة ، لكن الهوامش والتعاليق المذكورة ليست مربوطة بمواضعها من الآيات بواسطة أرقام وعلامات ، ولذلك تقع صعوبة في تجريدها وجمعها ، بشكل تفسير مستقل .. ومن تصفح تلك التعليقات والشروح التي كتبها على تفسير البيضاوي ، أدرك لأول وهلة عظم فائدتها وحسن عائدتها"(14)

3) جهوده في إرساء اللغة العربية (التعريب)

لقد خص شيخنا الامام طاهر الجزائري موضوع التعريب بعناية خاصة في جهوده العلمية ، وألف فيه جملة من المصنفات ، يتصدرها كتابه النفيس التقريب لأصول التعريب ، الذي طبع سنة 1919 م بالمطبعة السلفية بمصر ،بين فيه أهم الألفاظ المعربة ومسلك أهل التعريب فيها ليكون الناظر فيه على بصيرة بهذه المعربات ، كما أنه قد ضمنه كثيرا من المباحث اللغوية المتعلقة باللغة الفارسية التي استند عليها في حل المعربات .

هذا العمل الخاص بالتعريب ألفه الشيخ في أواخر حياته أثناء إقامته بالقاهرة ، سنة 1918 م ،وقد جعل فيه فصولا وتحت الفصول مطالب حسب ما تقتضيه سياقات البحث ، تناول المؤلف في مؤلفه حقيقة التعريب وأنواع التغيير الذي وقع في المعربات وتعريب المحدثين للكلمات الاعجمية ، كما لا يخف على دارس لتلك المرحلة الحرجة التي مرت بها الأمة الاسلامية في تصادم أنصار التعريب وخصومه والمناقشات الطويلة التي خاضها أعضاء نادي العلوم ، وفي تلك الظروف حمل لواء جواز التعريب الشيخ محمد الخضري (1872-1927م) ، وتصدر لواء عدم جواز التعريب الشيخ أحمد الاسكندري (1875 - 1919 م) .(15)

كما دعا الشيخ طاهر إلى ضرورة تكوين مجمع لغوي تعهد إليه مهمة التعريب لكي لا يستبد أفراد بالوضع من تلقاء أنفسهم مما يقود الأمة إلى التنافر والتضاد ، كما أكد على ضرورة أن يتقيد التعريب بأسماء الأجناس والأعلام وأن يقيد كل ما تم تعريبه في سجل خاص يحتفظ به المجمع .

وللتعريب معان عدة يستقر مفهوم أقومها عند الشيخ طاهر في نقل الكلمة مع عرفها الأعجمي ومحاولة إنزالها عل صيغ العربية وأوزانها .(16)

بالإضافة إلى هذه الجهود العلمية والعيش في ظل المعارف الشرعية بحثا ونشرا كان هناك جانب مهم اهتم به الشيخ طاهر رغم قلة الوقت وكثرة الالتزامات إلا أنه وجد وقتا يناظر فيه أهل الاستشراق ويرد على مكايدهم ،ولعل مما نستدل به على قولنا هذا هو تلك الشهادة التي سجلها الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله تعالى) في كتابه دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين من أن المستشرق المجري أجناس جولد تسيهر قد استطلع على بعض المشاهد التي توارثها أهل الشام عن أجدادهم من إقامة مجالس للذكر ولاسيما في مناسبات المولد النبوي الشريف ليالي الاثنين والجمعة ، مما جعله يرسل خطابا إلى الشيخ طاهر الجزائري يسأله فيه عن هذه المسائل وما يتعلق

بها بغية جمع أكبر قدر ممكن من الشبهات التي يستدل بها على أن الاسلام لا يزال يصنع وأنه ينمو عل مر الأجيال بطريق الابتداع ، عن طريق الجهد البشري كما بدأ كذلك كما يزعم هذا المستشرق المجري الكذوب ليسوق للناس أن الاسلام تكون على مر الأجيال من أفكار أرضية ، ولم ينبع من أصول سماوية

وقد كان رد الشيخ طاهر بحكمة وروية وعلم ولم يخالف في ذلك رأي العلماء الراسخين الذين يرون أن البدع إن كانت مختلقة الأصل فهي الضلالة بعينها ، وإن كانت لها أصل شرعي ولكن دخلها الابتداع في طريقة الأداء فهي مستنكرة بقدر ما فيها من الصنعة والزيادة .(17)

ولشدة هذه القضايا وخطرها على الحياة الاسلامية العامة ، وإيمانه الشديد بأنها تمسّ المجتمع الإسلامي ،وتفتنه في دينه أسس الشيخ طاهر الجزائري بالاشتراك مع العلامة علاء الدين عابدين جمعية من أجل مواجهة تحدي النشاط التعليمي للإرساليات التبشيرية الأجنبية والتصدي لمثل هذه الشبهات التي تحامل المستشرقون على بثها وزرعها في الأوساط التعليمية لأبناء المسلمين ، وخصوصا في البلاد العربية المستعمرة .

4) شهادات ومآثر أهل العلم عن مكانة الشيخ العلمية

وصفه المؤرخ محمد كرد علي (18) فقال: " ندر جدا أن جاء في المتأخرين من علماء المسلمين أي عصور الانحطاط العلمي – رجل وعى صدره من العلم ما وعاه الشيخ طاهر الجزائري ،فكان متضلعاً في علوم الشريعة ، وتاريخ الملل والنِّحل وما يتشعب عنها ، منقطع النظير في تاريخ العرب ، وتراجم رجالها ،وسلاسل أعمالهم ومناقبهم ومناقشاتهم ومناظراتهم ،فهو في ذلك الحجة الثبت ،ساعده في ذلك قوة حافظته التي لا تكاد تنسى ما تمر به مهما طال العهد ، قرأ جميع الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب أو ترجمت من اللغات الأوروبية ، أما المخطوطات التي طالعها فتقرب من

المطبوعات إن لم تكن أكثر ،وقل أن يدانيه أحد في معرفة المظان ، ولذلك كان يسهل عليه التأليف في أي موضوع أراد ، وقد يؤلف الكتاب في بضعة أسابيع " (19)

كما كان يصفه دوما بقوله " معلمي الأول "

صحب الشيخ طاهر الجزائري مدة إقامته في مصر الشيخ محمد عبده (1849-1905م) وحرص على حضور مجالسه وندواته ، ولا عجب فهو الذي يلتقي في عموم دعوته الاصلاحية مع الشيخ عبده.

يصفه صديقه أحمد زكي باشا شيخ العروبة (1860-1934 م) فيقول : " إنه أستاذ الشام على الإطلاق ،فهو يضم بين طمريه العلم الجم والخلق الأشم ..كنت أرى فيه الأثر الباقي والمثال الحي لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراية في كل المعارف الاسلامية ، وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتمحيص واستثارة خباياها وإبراز مفاخرها " (20) .

وقد كان رحمه الله إماماً في علوم اللغة الأدب .. وهو هكذا في علوم الشريعة ، لا سيما في التفسير والحديث والأصول .. إنه خزانة علم متنقلة بحق ، وقل أن يوجد في عصره من علماء الشام خاصة والمسلمين عامة من لم يستفد من علمه ،إن عن طريق الأخذ منه مباشرة أو عن طريق الواسطة .

الخاتمة:

من خلال هذه البسطة المختصرة مع جانب خدمة كتاب الله تعالى في حياة الشيخ طاهر الجزائري والتي كانت جهادا متواصلا ، منذ أن وعى دوره إلى أن اختاره الله تعالى إلى جواره ، كما ان جهاده العلمي جاء متنوعا بتنوع الأحداث والظروف والحاجات ، وهدفه الأول والأخير هو خدمة هذا الدين .

كما كان يسعى دوما وطول حياته لنشل المسلمين من سقطتهم ، ونشر العلوم القديمة والحديثة بين أبنائهم ، ولولا ما قام به من التذرع بجميع الذرائع لتأخرت

نهضة المسلمين في الشام أكثر من نصف قرن أو يزيد ،كما كان منهجه في الاصلاح أن يعلم المسلمين أصول دينهم والاحتفاظ بمقدساتهم .

عاش الشيخ طاهر الجزائري طول حياته وهو يؤكد أن الإسلام دائما على حق وأن أعداؤه دوما على باطل ، محددا أولوياته ، عبر كل مرحلة من مراحل حياته ،مراعيا في إرشاده ووعظه الطريقة الأفضل لمواجهة الوضع القائم ، لا يتذمر مما قدره الله عليه من امتحان ، فقد مسه النفي عن مسكنه ، ولكنه احتسب ذلك لوجه الله عز وجل ، وابلى بلاء حسنا في تبليغ رسالة دينه الحنيف موقنا أن هذه الدنيا فانية، متبعا لسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، في كل جهاده، محبا لكل أبناء أمة الإسلام ولا يحقد على من ظلمه منهم ولا يعاديهم ، فهو يتمنى لمن ظلموه الخير كله ، والهداية والرجوع إلى الطريق المستقيم فرحمة الله عليه في الأولين وفي الآخرين ،وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين .

الحواشي والإحالات:

1 ـ الدكتور بوعبد الله غلام الله ، القراء ومدارس الإقراء في الجزائر ، مقال في مجلة رسالة المسجد ، الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ، السنة الحادية عشرة – العدد الثالث – شوال 1434 هـ ، سبتمبر 2013 م ، ص 57 وما بعدها .

2 – الدكتور مهدي دهيم ، جهود علماء الجزائر في خدمة القراءات القرآنية ، محاضرة في الملتقى العلمي الثالث لطلاب الدراسات العليا في الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، ص ,3

3 – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، الأعلام، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة: الخامسة عشرة – أيار / مايو 2002 م ،الجزء 3، ص 221

4 – نفس المصدر ط:5 ، (1980) ، ج 6 ، ص,165

5- انظر ترجمة الشيخ طاهر الجزائري ، محمد الصالح الصديق ، كتاب الجواهر الكلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون تاريخ ، ص 11

6 – الجقمقية : نسبة إلى نائب دمشق سيف الدين جقمق

7– مقال من الانترنت بعنوان : الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد في بلاد الشام في العصر الحديث ، ينظر موقع : www.islamweb.net وهو ملخص كتاب : الشيخ طاهر الجزائري : رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث. المؤلف : حازم محي الدين . ،الناشر : دار القلم.دمشق .ط : 1، 2001 م .

8 – المرجع نفسه ، ص 2

9– مرزوق العمري ، الشيخ طاهر الجزائري داعية الاصلاح في بلاد الشام ،مجلة الثقافة الاسلامية ، الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ، العدد 04، التاريخ 1429 هجري / 2008 م ، ص 85

10 – انظر الترجمة التي وضعها عبد الفتاح أبو غدة في كتاب توجيه النظر إلى أصول الأثر ، مكتبة المطبوعات الاسلامية ، حلب سوريا الجزء الأول ، ص 16

11 – محمد الصالح الصديق ، كتاب الجواهر الكلامية ، مرجع سابق ، ص 21

12 - المرجع نفسه ، ص 21 و22

13 – حامد صادق قنيبي ، الشيخ طاهر الجزائري ،أستاذ بلاد الشام 1268-1339هـ=1851-1920م ، مقالة بمجلة "الصراط " للبحوث والدراسات الاسلامية ، الصادرة عن كلية أصول الدين جامعة الجزائر ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ذو الحجة 1420 ه مارس 2000 م ، ص 153

14- الشيخ طاهر الجزائري ، رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث ، لحازم زكريا محيي الدين ، دار القلم ، دمشق ، 2001 م. ص70

15 – حفني ناصف ، مجموعة الخطب التي ألقيت في حفلة تادي العلوم ، القاهرة ، مطبعة الواعظ ، 1908 م ، ص 7 وما بعدها

16- حامد صادق قنيبي ، الشيخ طاهر الجزائري ....مرجع سابق ، ص 167 وما بعدها

17. محمد الغزالي ،دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، الطبعة الثالثة ،1999م ،ص 164 ، هذا وقد أشار الشيخ محمد الغزالي في هامش الصفحة المذكورة إلى أن رسالة المستشرق المجري أجناس جولد تسيهر إلى الشيخ طاهر الجزائري ،قد نشرتها كاملة مجلة الأزهر في الجزء الثاني من المجلد الخامس والعشرين ، سنة 1373 هجري

18- محمد علي كرد (1876-1953م) علامة دمشق ، وأول رئيس للمجمع العلمي بدمشق ، صاحب كتاب كنوز الأجداد وكتاب المعاصرون ، ومن تلاميذ الشيخ طاهر الأوفياء

19_ جمال الدين الآلوسي ، محمد علي كرد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الثانية ،1976م ، ص 30

20- محمد علي كرد ، المعاصرون ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1970 م ،ص 282.

Cheikh Tahar El Djazairi and his efforts in interpreting the Quran and its statement

By: Dr. khedourah Ali

Institute of Islamic Sciences–El oued University

Abstract:

Cheikh Tahar El Djazairi is one of the most distinguished Algerian scholars whose life was completely devoted to study language and to research of Quranic studies. He was the model teacher, educator, reformer and a great pioneer of the comprehensive renaissance in the Levant. His nation should know who is he? And they should trace back his impact and the great effects on more than one art and took precedence in more than a scientific field.

This attempt is to shed light on the knowledge of our Algerian scholars who have succeeded in the Levant and Egypt. Also to clear their efforts In the Arabization and the Interpretation of the Quran.

I also hope that students and researchers pay more attention to these rare scientific scholars that challenged the hard conditions.

This is a good example that set up the argument of fruitful efforts to the generations after.

key words: Cheikh Tahar El Djazairi, Efforts, The Interpretation, The Statement.